من أخلاق النبوة

(١)



تأليف

سليم الهلالي

دار ابن الجوزي



حلاوة الإيمان

في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة

الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

الدمام : شارع ابن خلدون ت : ٨٤٢٨١٤٦
ص.ب : ٢٩٨٢ - الرمز البريدي : ٣١٤٦١ - فاكس ٨٤١٢١٠٠
الاحساء : الهفوف - شارع الجامعة
ت : ٥٨٢٤٦٧٢ - ص.ب ١٧٨٦

* المقدّمة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيِّئات أعْمالِنا، مَن يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بعد:

فإنَّ للمؤمنين أهلِ محبةِ الله من النَّعيمِ والسُّرورِ والفَرحِ بالله ما لا يجدُهُ إلا مَن ذاقَ طعمَ الإيمانِ، فمَن ذاقَ عَرَفَ، ومَن عَرَفَ اغترف من نهرِ المحبةِ الخالصةِ الذي فجَّرَهُ الله في قلوبِ أوليائِهِ، فسَلَكَهُ ينابيعَ في جَوارِحِهم، فاتَّخَذُوا صالحَ العملِ وطيبَ القولِ سُفُناً تمخُرُ بهِم إلى حَلاوةِ الإيمانِ.

ولا تَحْسَبَنَّ أنَّ نفسَ المعرفةِ والتَّصديقِ الحاصلِ في القلبِ، ولا نفسَ الحُبِّ الحاصلِ في القلبِ، هو حلاوةُ الإيمان، فإنَّ حبَّ الله شيءٌ، وما يحصلُ مِن ذكرهِ شيءٌ، ثم اللَّذَّةَ الحاصلةَ بذلك أمرٌ ثالثٌ، بل هذا نتيجةٌ، وذاك ثمرتُه ولازمٌ له، وهي أمورٌ متلازِمةٌ، فلا توجدُ اللَّذةُ والحلاوةُ إلا بحبٍّ وذوقٍ.

وبينَ يديكَ رسـالـةٌ موسومةٌ بـ «حلاوةُ الإيمانِ في ضوءِ القرآنِ الكَـريمِ والسُّنَّـة الصَّحيحةِ»، تُفضي بك ـ إن شاء الله ـ إلى حقيقةِ الإيمانِ التي ستجدُ حلاوتَها إن سَلَكتَ سبيلَها الذي وضَّحَهُ رسولُ الله ﷺ للسالِكينَ.

أرجو الله أن يَتَقَبَّلها بقبولٍ حسنٍ، فيجعَلَها للمتَّقينَ إماماً، وقرةَ عينٍ تهدي إلى سواء السَّبيلِ، فتروي الغليلَ، وتشفي العَليـلَ الذي استظلَّ بشجرةِ الإيمانِ.

والله المُسْتَعانُ، وعليهِ التُّكلانُ، لا ربَّ غيرُه، ولا إله بحقٍّ سواهُ.

وكتبه

أبو أُسامة سليم بن عيد الهلالي

يوم الأحد لثلاث ليالٍ خلت من شهر رجب الأصم

سنة ألف وأربعمائة وثمان من هجرة رسول الله محمد ﷺ

في عمَّان البلقاء عاصمة الأردن

□□□

الفصل الأول

حلاوةُ الإيمانِ

شبَّه الله ـ سبحانه ـ الإيمان بالشجرة الطيبة، الثابتة الأصل في الأرض رسوخاً، الباسقة الفرع في السماء عُلُوّاً وشموخاً، فهي زاكية نامية، يُنال ثمرُها في كل حين، فقطوفها دانية تثمر كل وقت.

﴿أَلَمْ تَرَ كيفَ ضَرَبَ الله مَثَلاً كَلِمَةً طيِّبَةً كشَجَرَةٍ طيِّبَةٍ أصلُها ثابِتٌ وفَرْعُها في السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حينٍ بإذْنِ ربِّها ويَضْرِبُ الله الأمثالَ للنَّاسِ لعلَّهُم يَتَذَكَّرونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

إن الإيمان يثمر العمل الصالح والقول الطيب، كما تثمر الشجرة الطيبة الثمر اليانع النافع.

ومن تأمل هذا الكلام الرباني، رآه مطابقاً لشجرة الإيمان والتوحيد الراسخة في قلب المؤمن، التي فروعها الأعمال الصالحة الصاعدة إلى السماء، ولا تزال تثمر الخير في كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقها، واتصف بها، وانصبغ بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة ألوهية الله التي يثبتها له، ويشهد بها لسانه،

وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطـأ قلبُه لسانَه في هذا النفي والإثبات، واستسلمت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعةً سالكةً سبيل ربها ذُلُلًا، غير ناكبة عنها، ولا باغية سواها بدلاً، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً.

فلا ريب أن هذه الكلمة الطيبة من هذا القلب على هذا اللسان، لا تزال تؤتي ثمـرتهـا من العمـل الصالح الصاعد إلى الله آناء الليل وأطراف النهار.

هذه الكلمـة الطيبة التي عرجت بالصالحات إلى مقام الرضى والقبول، وهذا العمل الصالح الذي يقارن الكلم الطيب، فيرفعه، كما قال الله ـ جل ثناؤه:

﴿إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُهُ﴾ [فاطر: ١].

وفي هذا المثل القرآني من الأسرار ما يليق به، ويقتضيه كمال علم الله الذي تكلم به، وحكمته سبحانه وتعالى، منها:

(١ ـ ١) أن الشجرة لا بد لها من عروق، وساق، وفروع، وأوراق، وثمر.

فكـذلـك شجـرة الإيمـان، عروقهـا العلم واليقين، وسـاقهـا الإخـلاص، وفـروعهـا الأعمـال الصـالحة، وثمرها الآثار الحميدة، والأخلاق الكريمة، والسمت الصالح، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب، وثبوتها فيه، بهذه الأمور، التي تورث عند نضجها صاحبَها حلاوةً يجدها في قلبه، وطمأنينة تملأ نفسه.

قال ﷺ:

«الإيمـان بضـع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

(٢ - ١) أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا قُطع عنها السقي أوشك أن تيبس.

وهكـذا شجـرة الإيمـان في القلب، إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيهـا في كل وقت بالعلم النافع، والعمل الصالح، والعود بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، وإلا أوشك أن تيبس.

قال ﷺ:

«إن الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جوفِ أحدكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم»[2].

ولذلك، فالغرس إن لم يتعاهده صاحبه، أوشك أن يهلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١ / ٥١ - الفتح)، ومسلم (١ / ٦ - نووي)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم (١ / ٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما.

وقال: رواته مصريون ثقات. ووافقه الذهبي.

قلت: رجـاله كلهم رجال مسلـم غير عبدالرحمن بن ميسرة، وهو أبو ميسرة الحضرمي المصري، وهو حسن الحديث.

وحسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١ / ٥٢)، ووافقه شيخنا في «الصحيحة» (١٥٨٥).

ومن هنا تعلم يا مسلم يا عبدَ اللهِ شدة حاجتك إلى ما أمر الله به من الطاعـات على تعاقب الأوقات، ومن عظيم رحمته وتمام نعمته وإحسـانـه على عبـاده، أن وظّفها عليها، وجعلها مادة لسقي غراس الإيمان الذي غرسه في قلوبهم.

(٣ ـ ١) أن الشجرة الطيبة لا بدَّ أن يخالطها نبت غريب، ليس من جنسها، فإن تعاهدها صاحبها، ونقاها، وقلعه، كمل الغرس والزرع، واستغلظ واستـوى على سوقه، وكان أوفر لثمرته، وأطيب، وأزكى، وإن تركـه أوشك أن يغلب على الغراس والزرع، ويكون الحكم له، أو يضعف الأصل، ويجعل الثمرة ذميمة لا طعم لها، بحسب كثرته وقلته.

لذلك، فالمؤمن دائماً سعيه في أمرين:

الأول: سقي هذه الشجرة لتبقى وتدوم.

الآخر: تنقية هذه الشجرة لتكتمل وتتم.

وحينئذ يجد حلاوة الإيمان، ودونك البيان:

قال ﷺ:

«ذاق طعم الإيمان مَن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»[٣].

وقال ﷺ:

---

(٣) أخرجه مسلم (٢ / ٢) مـن حديث العباس بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه.

«ثلاث مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»(٤).

هذا الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي؛ لأنهما قد تضمنا الرضى بربوبية الله - سبحانه - وألوهيته، والرضى برسوله ﷺ والانقياد له، والرضى بدينه والتسليم له.

ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو الصِّدِّيق حقاً، وهي سهلة بالدعوى واللسان، ولكنها من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، حيث تتجلى محبة الله ورسوله بأعلى صورها وأشكالها.

وهذان الحديثان هما أصل في الذَّوق والوجد الإيماني الشرعي دون الضلالي البدعي.

□□□

---

(٤) أخرجه البخاري (١ / ٦٠ - الفتح)، ومسلم (٢ / ١٣، ١٤ - نووي)، من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه.

الفصل الثاني

الرضى بالله ربّاً

الرضى به سبحانه وتعالى رباً يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، حيث لا يتخذ العبد رباً غير الله، يسكن إلى تدبيره، وينزل عند تقديره.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَبغِي رَبَّاً وهُو رَبُّ كُلِّ شيءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

إنها تسبيحة الإيمان الرخية الندية، يتجلى من خلالها مشهد التوحيد الباهر الرائع في أنصع صورة... كلمة تقتضي السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن... ثم تظللها كلها بالوحدانية، وتعبدها كلها لله رب العالمين، عقيدة، وعبادة، وشريعة... فكيف أطلب رباً غيره وهو رب كل شيء؟!

وهكذا يجيء هذا السؤال متناسقاً مع التساؤلات الأولى في مطلع سورة الأنعام، ووسطها، تلك التي استهدفت قضية الإيمان.

﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وليّاً فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ وهُو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ قُل إنِّي أُمِرْتُ أنْ أكونَ أوَّلَ مَن أَسْلَمَ ولا تَكونَنَّ مِن المُشْرِكينَ﴾ [الأنعام: ١٤].

يعني: معبوداً، وناصراً، ومعيناً، وملجأ، وهو من الموالاة التي تتضمن الحبّ والطاعة.

إن هذه القضية... قضية اتخاذ الله وحده ولياً بكل معاني كلمةِ الولي، هي قضية الإيمان في صميمه، تقررها هذه الآية بأقوى عبارة، وأعمق دليل... إنه دليل الفطرة القوي العميق.

لمن يكون الولاء... إن لم يكن لفاطر السّماوات والأرض الذي خلقهما وأنشأهما؟!

ولمن... إن لم يكن للرزّاق ذي القوة المتين، الذي يرزق مَن في السماوات والأرض، الذي يُطعم ولا يُطعم، ولا يطلب طعاماً؟!

أي عقل يسمح بأن يُتّخذ غير الله وليّاً؟!

إن كان يتولاه لينصره ويعينه؛ فالله هو فاطر السماوات والأرض، فله من في السماوات والأرض.

وإن كان يتولاّه ليرزقه ويطعمه؛ فالله هو الرزّاق الذي يطعم مَن في السماوات والأرض... ففيم الولاء لغير الله الرزاق ذي القوة المتين؟!

ثم يأتي التّميُّز الواضح، فلا مجاملة، ولا مداهنة، ولا أنصاف حلول.

﴿قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أنْ أكونَ أَوَّلَ مَن أَسْلَمَ ولا تَكونَنَّ مِن المُشْرِكينَ﴾.

قضية واضحة محددة، لا تقبل ليناً ولا تمييعاً، فالله وحده

بالتوجه، والتلقي، والطاعة، والخضوع في كل حركة وسكنة، ورفض إشراك غيره، وسخط عبادة ما دونه. . . هذا هو الرضى به إلٰهاً، وهو من تمام الرضى به رباً، فمن أعطى الرضى به حقه، سخط عبادة ما دونه ـ قطعاً؛ لأن الرضى بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته.

وهذا هو قطب رحى الإسلام؛ **فالرضى بالله رباً يتضمن رضى العبد بما يُقَدَّر عليه، ورضاه بالله إلٰهاً يتضمن رضاه بما يؤمر به.**

وإنما كان قطب رحى الدين، لأن جميع العقائد والأحكام والأحوال إنما تنبني على توحيد الله ـ عز وجل ـ في العبادة، وسخط ما سواه، فمن لم يكن له هذا القطب، لم يكن له رحى تدور عليه، ومن حصَّل هذا القطب، ثبتت له الرحى، ودارت على القطب، فيخرج من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، فتدور رحى إسلامه على قطب الإيمان والتوحيد الثابت اللازم.

□□□

الفصل الثالث

أمور تعين على الرضى بالله رباً

(١ ـ ٣) التوكُّل على الله :

الرضى آخر التوكل، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم، حصل له الرضى ولا بد .

قال تعالى :

﴿ومَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فَهُو حَسْبُهُ إنَّ الله بالغُ أمْرِهِ قدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيءٍ قَدراً﴾ [الطلاق : ٣] .

(٢ ـ ٣) التزامُ ما جعلَ الله رضاهُ فيهِ :

مَن أراد أمراً سلك سبيله الموصلة إليه، فمن رضي بالله، وعن الله ، التزم ما جعل الله رضاه فيه ، فإنه يوصله إلى مقام الرضى ولا بد .

(٣ ـ ٣) معرفةُ العبدِ بضعفِهِ وعجزِهِ :

إذا أبصر العبد ضعفه، واعترف بعجزه، لجأ إلى حمى ربه الوثيق، وركنه الشديد، وفوض أمره إليه، ورضي بما قدره عليه .

(٤ ـ ٣) علمُ العبدِ برحمةِ الله بهِ وشَفَقَتِهِ عليهِ:

الله سبحانه أرحم بالعباد من أنفسهم، وخاصة الذين أنابوا واتبعوا سبيله، فقال:

﴿وكانَ بالمُؤْمِنينَ رَحيماً﴾ [الأحزاب: ٣].

واعلم أخا الإيمان، أن من ولج باب الرضى، فلا بد أن يدخل بهمّة عالية، ويخطو بنفس مطمئنة، ويوطّن قدمه على كل ما يرد عليه من الله، فإن فعل، فلن يرجع صفر اليدين.

□□□

الفصل الرابع

الرضى عن الله

واعلم أخا الإيمان أن من رضي بالله رباً، فإن الله يرضى عنه، فيرضى عن الله ـ سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

﴿قالَ الله هٰذا يومُ ينفَعُ الصادِقينَ صِدْقُهُم لهُم جنَّاتٌ تَجْري مِن تحتِها الأنْهارُ خالِدينَ فيها أبداً رَضِيَ الله عنهُم ورَضُوا عنهُ ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال ـ عز وجل:

﴿لا تَجِدُ قوماً يؤمِنونَ بالله واليومِ الآخِرِ يوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورَسولَهُ ولو كانُوا آباءَهُم أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عَشيرَتَهُم أولٰئكَ كَتَبَ في قُلوبِهِم الإيمانَ وأيَّدَهُم بِروحٍ مِنه ويُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها رَضِيَ الله عنهُم ورَضُوا عنهُ أولٰئكَ حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْبَ الله هُم المُفْلِحونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال ـ جل ثناؤه:

﴿جَزاؤُهُم عندَ ربِّهِم جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْري مِن تحتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها أَبداً رَضِيَ الله عنهُم ورَضُوا عَنهُ ذٰلكَ لمَن خَشِيَ ربَّهُ﴾

[البيِّنة: ٨].

تضمنت هذه الآيات جزاؤهم على صدقهم، وإيمانهم، وأعمالهم الصالحة، ومجاهدة أعداء الله، بأن رضي الله عنهم، فأرضاهم، فرضوا عنه، وإنما حصل لهم هذا بعد الرضى بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً.

لذلك، فإن أهل الرضى به هم أهل الرضى عنه؛ لأن الرضى عنه ثمرة الرضى به، فالرضى به متعلق بأسمائه وصفاته، والرضى عنه متعلق بثوابه وجزائه.

ولذلك، فإن الرضى بالله أعلى شأناً، وأرفع قدراً من الرضى عن الله، لوجوه منها:

(١ - ٤) أن الرضى بالله خاص، والرضى عن الله عام، فغايته التسليم بقضاء الله وقدره. وأين هذا من الرضى بالله رباً، وإلهاً، ومعبوداً.

(٢ - ٤) والرضى بالله رباً فرض من آكد الفروض، فمن لم يرض بالله رباً، لم يصح له إسلام، ولا عمل، ولا حال.

(٣ - ٤) والرضى بالله رباً يتضمن الرضى عنه، ويستلزمه، فإن الرضى بربوبيته هو الرضى بما يأمره به، ويقسمه له، ويقدُرُه عليه، ويعطيه إياه، ويمنعه منه، فمتى لم يرض بذلك كله، لم يكن قد رضي بالله رباً من جميع الوجوه، وإن رضي به رباً من بعضها، فالرضى به رباً من كل وجه، يستلزم الرضى عنه، ويتضمنه بلا ريب؛ لأن الرضى به أصل الرضى عنه، والرضى عنه ثمرة الرضى به.

الفصل الخامس

أمورٌ تُعينُ على الرِّضى عن الله

ويتحقق الـرضى عن الله للعبـد إذا استـوت في رضـاه النعمة والمصيبة، بحسن اختيار الله له.

وإنما تستوي النعمة والمصيبة في الرضى بهما لوجوه، منها:

(١ ـ ٥) أن المسلم مُفَوِّض أمره لله، والمُفَوِّض راضٍ بكل ما اختاره الله له، ولا سيما وهو يعلم كمال حكمة الله، ورحمته، ولطفه، وحسن اختياره له.

(٢ ـ ٥) أن المسلم جازم أنـه لا تبديل لكلمات الله، ولا رادَّ لحكمه، فهو متيقن أن كلًّا من النعمة والمصيبة بقضاء سابق، وقدر حتم.

(٣ ـ ٥) أن المسلم عبـد محض، والعبـد لا يسخط لجـريان أحكام سيده البر الرحيم المحسن، بل يتلقاها كلها بالرضى به وعنه.

(٤ ـ ٥) أن المسلم محب لله، والمحب الصادق من رضي بما يعامله به محبوبه.

(٥ ـ ٥) أن المسلم جاهل بعواقب الأمور، ومولاه الحق أعلم بمصلحته وبما ينفعه.

﴿ألا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وهُو اللَّطيفُ الخَبيرُ﴾ [الملك:١٤].

(٦ ـ ٥) أن المسلم عارف بربه، حسن الظن به، لا يتّهمه فيما يجريه عليه من الأمور؛ فحسن الظن بالله يوجب للمسلم استواء النعمة والمصيبة عنده، ورضاه بما يختاره له مولاه الحق.

(٧ ـ ٥) أن المسلم يعلم يقيناً أن حظه من المقدور ما يتلقّاه به مِن رضى وسخط، فلا بد له منه، فإن رضي فله الرضى، وإن سخط فله السخط.

(٨ ـ ٥) أن المسلم يعلم أن أعظم راحته وسروره ونعيمه في الرضى عن ربه ـ تعالى وتقدس ـ في جميع الحالات؛ لأن الرضى باب الله الأعظم، ومستراح المحبين، فجدير بمن نصح نفسه، أن تشتد رغبته فيه، وأن لا تستبدل بغيره منه.

(٩ ـ ٥) أن المسلم يعلم أن السخط يورث الهم، والغم، والحزن، وشتات القلب، وكَسْف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، ولكن الرضى يخلصه من ذلك كله، ويفتح له أبواب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

(١٠ ـ ٥) أن المسلم يذوق بالرضى طعم السكينة، التي لا أنفع له منها، لأنها متى نزلت على فؤاده استقام، وصلحت أحواله، وهدأ باله، فمن أعظم نعم الله على عبده المسلم أن يُنَزِّل السكينة عليه،

ومن أعظم أسبابها الرضى عن الله في جميع الحالات.

(١١ ـ ٥) أن المسلم يفتح بالرضى باب السلامة، التي تجعل قلبه سليماً نقياً من الغش والدَّغَل والغلِّ، ولا ينمو عند الله إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكلما كان العبد أشد رضى، كان قلبه أسلم، فالحنث والدغل والغش قرين السخط، كما أن سلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضى.

وكذلك الحسد ثمرة السخط، والقناعة ثمرة الرضى.

(١٢ ـ ٥) أن المسلم يرى أن السخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه وهواه، والمقادير تجري بما يلائمه وبما يضادّه، فكلما جرى عليه منها ما لا يلائمه أسخطه، فلا تثبت قدمه في مقام العبودية، فلا يزيل التلونَ عن العبد مثل الرضى.

(١٣ ـ ٥) أن المسلم يعلم أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله، فقلّ أن يسلم الساخط من شك يجتال قلبه، ويتغلغل في نفسه، وإن كان لا يشعر، ولكن لو وقف لحظة تدبر ومحاسبة لوجد يقينه مغلولاً مدخولاً، فإن الرضى واليقين أخوان أرضعا بلبان، والشك والسخط قرينان.

(١٤ ـ ٥) أن المسلم الذي ملأ قلبه بالرضى، ملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة، وفَرَّغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، فالرضى يفرِّغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله.

(١٥ ـ ٥) أن المسلم الذي رضي بالله وعن الله مبرأ من آفات الحرص والكَلَب على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصل كل بلية، وأساس كل رزية؛ فرضاه ينفي عنه مادة هذه الآفات المهلكات.

(١٦ ـ ٥) أن المسلم الذي سلك سبيل الرضى، خرج الهوى من قلبه، فهواه تبع لمراد ربه.

□□□

الفصل السادس

الرضى بمحمدٍ ﷺ رسولاً

الرضى بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله بكمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، حيث يكون أولى به من نفسه التي بين جنبيه، فلا يتلقّى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يتحاكم إلا إليه، ولا يرضى بحكم غيره البتة، فإن عجز عِنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر، إذ لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

قال تعالى:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يؤمنونَ حتَّى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بينَهُم ثمَّ لا يجِدوا في أنفُسِهِم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسْليماً﴾ [النساء: ٦٥].

فمن رضي بمحمد ﷺ رسولاً، سلَّم بحكمه، ورضي بقضائه، فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كل الرضى، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم تسليماً، ولو مخالفاً لمراد نفسه وهواها، أو قول مقلِّدِه، وشيخه، وطائفته، وحزبه.

الكوني، الذي صنعه الله، فأحسن.

والعبد مضطر أن يعيش في إطار هذا الكون، وأن يتعامل مع النظام الكوني، والتناسق بينه وبين هذا النظام الطائع لله رب العالمين، هو وحده الذي يكفل له التعاون مع الكون بدل التصادم معه... وهو حين يصطدم بها يتمزق، ولا يؤدي الأمانة التي حملها... إنه كان ظلوماً جهولاً، ولكنه حين يتناسق مع الكون يملك معرفة أسراره، وتسخيره، والانتفاع به على الوجه الذي يحقق له السعادة، والراحة، والطمأنينة.

والفطرة الإنسانية في أصلها متناسقة مع ناموس الكون، مسلمة لربها إسلام كل شيء، وكل حي... فمن الجهل أن يختار العبد غيرها، ومن الظلم أن يضعها في غير موضعها، قال تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دينِ الله يَبْغونَ. ولهُ أَسْلَمَ مَن في السَّماواتِ والأرضِ طَوْعاً وكَرْهاً وإليهِ يُرْجَعونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

إن العبد حين يخرج بنظام حياته عن ذلك الناموس، لا يصطدم مع الكون فحسب، إنما يصطدم بفطرته التي بين جنبيه، فيشقى، ويتمزق، ويحتار، ويقلق، ويحيا كما تعيش البشرية اليوم في عذاب، وحيرة، ونكد.

إن البشرية اليوم تعاني خواءً مريراً... خواء روحها من حقيقة الإيمان، وخواء حياتها من منهج الله... هذا الدين القيم الذي يعيدها في حركة متناسقة مع حركة الكون الذي تعيش فيه.

إن البشرية يلفح وجهها هجير محرق؛ لأنها ابتعدت عن الظل

الوارف الندي.

فكان لزاماً أن تجد الشقاق، والقلق، والحيرة، وترى الخواء، والجوع، والحرمان. . . ولكن أين المفر؟!

قال تعالى:

﴿ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإنَّ لهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤].

إنها لن تجد نفسها؛ لأنها ضلت عن غاية وجودها. . . ولن ترى سعادتها؛ لأنها حادت عن منهج ربها الذي يعيدها إلى حركتها الهادئة المتَّزنة المتناسقة مع كل شيء، وكل حي، ولن يجدوا حلاوة الطمأنينة؛ لأنهم لم يعرفوا الله الذي إليه يرجعون.

ولِمَ هذا الشرود عن سبيل الحق، وهذا كتاب الله فيه تفصيل كل شيء.

﴿أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغي حَكَماً وهُو الذي أَنْزَلَ إليكُمُ الكِتابَ مُفَصَّلاً والذينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ يَعْلَمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن ربِّكَ بالحَقِّ فلا تَكونَنَّ مِن المُمْتَرينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

أفغير الله أبغي حكماً يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه، وهذا كتابه، قد أنزله؟!

أفغير الله أبغي حكماً، وهو سبحانه لم يترك شيئاً غامضاً، ولم يجعل عباده محتاجين إلى مصدر آخر؟!

أفغير الله أبغي حكماً، والذين أوتوا الكِتابَ مِن قبل يعلمون أن

هذا الكتاب منزل من الله، محتوياً على المبادىء التي يقوم عليها نظام الحياة، وبهذا كان في هذا الكتاب غَناء عن تحكيم غير الله في شأن من شؤون الحياة.

ولا تلتفت أيها العبد الذي رضي بالإسلام ديناً إلى التكذيب والجدل الذي تجده من المشركين، ولا إلى الكتمان والجحود الذي تلقاه من أهل الكتاب.

﴿فلا تَكُونَنَّ مِن المُمْتَرينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]؛

لأن الله منجز وعده، فقد قرر أن كلمته الفاصلة تمت، وأنه لا مبدل لها بفعل الخلق، ولو اجتمعوا له.

﴿وتَمَّتْ كَلِمَةُ ربِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لكَلِماتِهِ وهُو السَّميعُ العَليمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

لقد تمت كلمة الله صدقاً فيما قال وقرر، ولقد عمت كلمة الله عدلاً فيما شرع وحكم، فلم يبق بعد ذلك قول لقائل في عقيدة، أو قيمة، أو خلق، أو حكم شرعي، أو عادة، أو تقليد.

فلترض أيها العبد بما رضي الله لك، فقد كُفيت وهُديت، واستعن على ذلك بأن تردّد دائماً: «رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً»، عند:

١ - الأذان:

قال ﷺ:

«مَن قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر الله ذنبه»[٥].

٢ ـ في الصباح والمساء:

قال رسول الله ﷺ:

«مَن قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً؛ كان حقاً على الله أن يرضيه»[٦].

واعلم أن المداومة على هذا الذكر من الخصال الموجبة للجنة.

قال ﷺ:

«مَن قال رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً؛ وجبت له الجنة»[٧].

إذا تمكن العبد في أسباب الرضى، وغرس شجرته، وسقاها بالعلم بالله ورسوله، والإخلاص لله، والاتباع لرسول الله ﷺ، اجتنى

---

(٥) أخرجه مسلم (٤ / ٨٦ ـ نووي).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٨٩)، من حديث ثوبان بإسناد فيه ضعف.
وله شاهد عن رجل خدم النبي ﷺ، أخرجه أحمد (٤ / ٣٣٧ و ٥ / ٣٦٧)، وأبو داود (٥٠٧٢)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤ ، ٥١٥)، وغيرهم بإسناد يصلح للمتابعة.
فالحديث يتقوى بمجموعهما، والله أعلم.
وقد فصلت ذلك في «صحيح الوابل الصَّيِّب».

(٧) أخرجه أبو داود (١٥٢٩)، وغيره، من حديث أبي سعيد الخدري، بإسناد صحيح.

ثمـرتـه، وذاق طعمه، عندئذٍ لا بد أن يتعاهدها بتنقية ما يحوم حول حمـاهـا من العـاهـات، ويحيطهـا بسـور لكيلا تقتحمهـا العـوادي والضواري، حتى تنضج ثمارها، فيجد حلاوتها.

وهذا الحال هو ما بيَّنه الحديث الثاني:

«ثـلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٨].

□□□

(٨) سبق تخريجه برقم (٤).

الفصل الثامن

حبُّ الله ورَسوله ﷺ

اعلم أيها العبد المحب لله ورسوله، أن محبة الله سبحانه، ورسوله محمد ﷺ، من أعظم واجبات الإسلام، وأعظم قواعد الإيمان، بل هي أصل كل عمل من أعمال الدين، فكل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة: إما عن محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة.

فجميع الأعمال الدينية الإيمانية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة لا يكون صالحاً عند الله جل جلاله، بل الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ورسوله؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً.

بل إخلاص الدين لله، واتِّباع رسول الله، هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه.

ومن أحب أمراً اشتهاه، فإذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك المحبوب المشتهى، والإدراك يتوسط المحبة واللذة، فإن الإنسان يتبع النظر إلى الشيء، فإذا نظر إليه التذَّ، وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذاتِ والآلام؛ من فزع، وحزن، ونحو ذلك، يحصل بالشعور بالمحبوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن.

فحلاوة الإيمان المتضمنة اللذة به، والفرح، وما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله ورسوله، وذلك بثلاث أمور:

أ ـ تكميل هذه المحبة: بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ لأن محبة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

ب ـ تفريع هذه المحبة: بأن يحب في الله، ويبغض في الله، فيحب ما أحب الله، ومن أحب الله، ويبغض ما أبغض الله، ومن أبغض الله.

ت ـ دفع ضد هذه المحبة: بأن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار.

وهاك التفصيل:

□□□

الفصل التاسع

أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما

ولما كانت المحبة ميل القلب بكليته إلى المحبوب، كان ذلك الميل حاملاً على الطاعة والتعظيم، وكلما كان الميل أقوى، كانت الطاعة أتم، والتعظيم أوفر.

وهذا الميل يلازم الإيمان، بل هو روح الإيمان ولبه، فأي شيء يكون أعلى من أمر يتضمن أن يكون الله ـ سبحانه ـ ورسوله ﷺ أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحقها بالطاعة.

ولن يبلغ العبد المحب هذا المقام إلا بأمور:

(١ ـ ٩) أن يكون الله عز وجل ورسوله ﷺ أحب الأشياء إلى العبد:

وبيانه:

أ ـ أن تسبق محبة الله ورسوله إلى القلب كل محبة؛ فتتقدم جميع المحاب كلها.

قال تعالى:

﴿قُلْ إنْ كَانَ آباؤكُم وأَبناؤكُم وإخوانُكم وأَزواجُكُم وعَشيرتُكُم

وأموالٌ اقْتَرَفْتُموها وتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إليكُم مِن الله ورسولِه وجِهادٍ في سَبيلِهِ فتَرَبَّصوا حتَّى يأْتِيَ الله بأمْرِهِ والله لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقينَ﴾ [التوبة : ٢٤].

قال ﷺ :

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه مِن والده وولده والناس أجمعين»[٩].

عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب.

فقال له عمر: يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا مِن نفسي.

فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك».

فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إليَّ مِن نفسي.

فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[١٠].

إن هذه العقيدة الربانية لا تحتمل لها في قلب العبد شريكاً، فإما تجرُّدٌ لها، وإما انسلاخٌ منها.

---

(٩) أخرجه البخاري (١ / ٥٨ ـ الفتح)، ومسلم (٢ / ١٥ ـ نووي)، من حديث أنس ـ رضي الله عنه.

(١٠) أخرجه البخاري (١١ / ٥٢٣ ـ الفتح)، وغيره.

وها هي النصوص الصريحة تضع بين يديك أيها العبد المحب ألوان الوشائج : الآباء، والأبناء، والإخوان، والأهل، والعشيرة؛ وشائج الدم، والنسب، والقرابة، والزواج، وجميع المطامع : الأموال، والتجارة؛ مطمع الدنيا وزينتها، وكل الرغبات : المساكن المريحة، متاع الحياة ولذتها في كفة، والعقيدة ومقتضياتها : حب الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله في الكفة الأخرى، فإن رجحت الثانية، وطاشت الأولى، فذلك محض الإيمان. . . وإلا فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، فتتعرّضوا لمصير الفاسقين. . . والله لا يهدي القوم الفاسقين.

وليس المراد أن ينقطع العبد عن الأهل، والعشيرة، والزوج، والولد، والمال، والعمل، والمتاع، واللذة. . . كلاًّ فإن هذه العقيدة تريد أن يخلص لها قلب العبد، فتكون هي الدافعة الفاعلة، فإن تم لها هذا، فلا حرج عندئذٍ أن يستمتع العبد بالطيّبات، على أن يكون العبد مستعداً لنبذها كلها في حالة تعارضها مع مقتضيات العقيدة.

وهذا التكليف بهذا الفهم، هو الذي تطيقه الفطرة البشرية، وإنه لمن رحمة الله أن أودع في عباده هذه القدرة من التجرد والاحتمال، وغرس في فطرهم الشعور بحلاوة علوية لذلك الإيمان لا تعدلها لذائذ الأرض الفانية جميعاً.

حلاوة الإيمان بالله، ولذة الرجاء في رضوان الله، وطعم الاستعلاء على الضعف والهبوط، والارتفاع إلى مقامات المتقين.

ب ـ أن تقهر محبة الله ورسوله كل محبة، فتكون محبة الله

ورسوله في القلب ظاهرة ظافرة، ومحبة غيره متخلفة، مقهورة، مغلوبة، منطوية في محبة الله ورسوله.

قال تعالى:

﴿ومِن النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دونِ الله أنداداً يُحِبُّونَهم كَحُبِّ الله والذينَ آمَنوا أَشَدُّ حُبّاً لله ولَو يَرى الذينَ ظَلَموا إِذْ يَرَوْنَ العذابَ أنَّ القُوَّةَ لله جَميعاً وأنَّ الله شديدُ العَذَابِ . إذْ تَبَرَّأَ الذينَ اتُّبِعوا مِن الذينَ اتَّبَعوا ورأَوُا العذابَ وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسبابُ . وقالَ الذينَ اتَّبَعوا لو أنَّ لنا كَرَّةً فنَتَبَرَّأَ منهُم كما تَبَرَّؤوا مِنّا كذلكَ يُريهِمُ الله أعمالَهُم حَسَراتٍ عليهِم وما هُم بخارِجينَ مِن النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

نعم، إن حب الله ورسوله في قلوب المؤمنين أشد من كل حب، بل المؤمنين لا يحبون شيئاً كحبهم لله ورسوله؛ لا أنفسهم، ولا سواهم، ولا اعتبارات، ولا شارات، ولا قيماً أرضية يلهث وراءها المنقطعون عن قافلة الإيمان.

فالمؤمنون يحبون الله حباً مطلقاً من كل موازنة، ومن كل قيد، فهم أشد حباً لله من كل حب يتّجهون به إلى سواه.

ولكن الذين ظلموا... ظلموا الحق؛ لأنهم أعطوا ثمرة قلوبهم وصفقة أيديهم لغير أهلها... وظلموا أنفسهم فوضعوها مسخرة للسادات والكبراء الذين أضلوهم السبيل.

هؤلاء الأتباع، لو مدوا بأبصارهم ليوم تشخص فيه الأبصار... لو تطلعوا بقلوبهم ليوم تبلغ فيه القلوب الحناجر، ذلكم يوم الوعيد، يوم

يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين الذين أحبوا الأنداد كحبهم الله.

يومئذ فلا شركاء، ولا أنداد، لقد تبرأ المتبوعون من التابعين، فتقطعت جميع الأواصر، وتكسرت جميع الوشائج، وتخلفت جميع المحاب، وسقطت جميع قيم الأرض، وعجزت عن وقاية نفسها، فضلاً عن حماية أتباعها... وظهرت قوة الله وقدرته... أن القوة لله جميعاً.

وكذبت القيادات الضالة، فاحمرت أنوف التابعين المخدوعين، وملأ الغيظ قلوبهم، وتمنَّوا الرجعة والعودة إلى الأرض، ليردوا الجميل إلى ساداتهم وكبرائهم الذين كانوا يسبّحون لهم في الحياة الدنيا، فيتبرؤوا من الانتماء إليهم.

تالله إنه لموقف عظيم، يأخذ بمجامع القلوب... مشهد التبرُّؤ والتعادي والتخاصم بين المحبين والمحبوبين... ولات حين مندم، فلا بد من النتيجة المؤلمة:

﴿كَذٰلِكَ يُريهِمُ الله أَعمالَهُم حَسَراتٍ عليهِم وما هُم بخارِجينَ مِن النَّارِ﴾.

وهٰكذا تورث المحبة المذمومة صاحبها حسرة وألماً وندماً، بينما تفضي المحبة المحمودة بصاحبها إلى أفواض لذة أبدية، وحلاوة سرمدية، ورضوان من الله أكبر.

وفي هذا المقام يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم، فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد، فإنه والله عين العزة والصحبة

مع الله ورسوله، وروح الأنس بالله، والرضى به رباً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالإسلام ديناً.

بل الصادق كلما وجد مس الاغتراب، وذاق حلاوته، وتنسم روحه، قال: اللهم زدني اغتراباً، ومنك اقتراباً، وأنساً بك. وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب، وهذا التفرد، رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذلَّ عين العزة بهم، والجهل عين الوقوف على آرائهم وزِبالة أذهانهم، والانقطاع عين التقيد برسومهم وأوضاعهم؛ فلم يؤثر بنصيبه من الله أحداً من الخلق، ولم يبع حظه من الله بموافقتهم فيما لا يجدي إلا الحرمان، وغايته: مودَّة بينهم في الحياة الدنيا، فإذا انقطعت الأسباب، وحقت الحقائق، وبُعثِر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وبُليت السرائر، ولم يجد من دون الله مولاه الحق قوة ولا ناصر، تبين له حينئذٍ مواقع الربح، ومواطن الخسران، وما الذي يخف أو يرجح في الميزان، والله المستعان، وعليه التكلان.

(٢ ـ ٩) أن يكون الله عز وجل ورسوله ﷺ أولى الأشياء بالتعظيم:

قال تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومُبَشِّراً ونَذيراً . لِتُؤْمِنوا بالله وَرسولِهِ وتُعَزِّروهُ وتُوَقِّروهُ وتُسَبِّحوهُ بُكْرَةً وأَصيلاً﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩].

إن رسول الله ﷺ شاهد على هذه البشرية التي أُرسل إليها، يشهد أنه بلغها رسالة ربه، وأنها استقبلته بما استقبلته، فمنها المؤمنون

المخلصون، وكثير كافرون ومنافقون، فيؤدي النبي ﷺ الشهادة كما بلغ الرسالة.

وهو بشير خير ومغفرة للمؤمنين، ونذير بسوء المنقلب والغضب واللعنة للعصاة المفسدين.

هذه هي وظيفة الرسول ﷺ، ثم يلتفت النص القرآني إلى المؤمنين، ليكشف لهم عن الغاية المرجوة من إيمانهم بالرسالة: إنها النهوض بالتكاليف نصرة وتعظيماً وإجلالاً آناء الليل وأطراف النهار، ليبقى المرء متصلاً قلبه مع ربه في كل آن، ليذوق ثمرة الإيمان، ويجد حلاوته المرجوة للمؤمنين، الذين لا يقدمون بين يدي الله ورسوله.

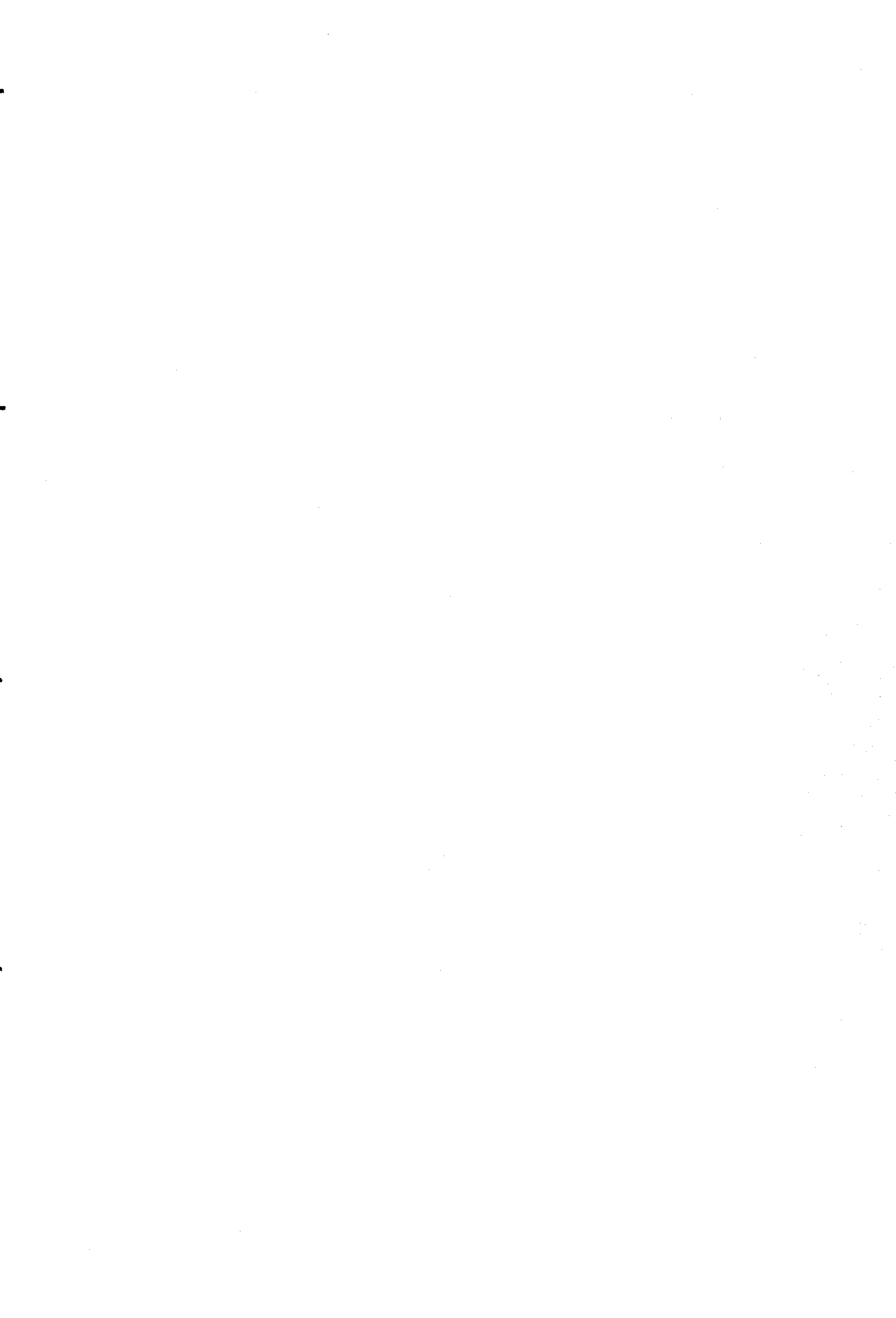
(٣ - ٩) أن يكون الله ورسوله أولى الأشياء بالطاعة:

قال تعالى:

﴿مَن يُطِعِ الرَّسولَ فقَدْ أَطاعَ اللهَ﴾ [النساء: ٨٠].

ويقال في التعظيم والطاعة كما قيل في المحبة.

□□□



الفصل العاشر

الأسبابُ الشَّرعيةُ المقوِّيةُ لحبِّ الله ورَسولِه

اعلم أيها العبد المحب أن أسعد الناس وأحسنهم حالاً في الدنيا والآخرة أقواهم حباً لله ورسوله، فإن الآخرة معناها القدومُ على الله تعالى، ودَركُ سعادة لقائه، ولذة النظر إليه، وما أعظم نعيم العبد المحب إذا قدم على ربه بعد طول شوقه في الحياة الدنيا، وتمكن من رؤيته من غير منغّض ولا مكدّر، إلا أن هذا النعيم على قدر المحبة، فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة.

وقوة الحب واستيلاؤها على قلب العبد تحصل بأمور مشروعة، منها:

(١ ـ ١٠) الزهد في الدنيا، والتقلل منها، وإخراج حبها من القلب:

لأن استيلاء حبها على القلب يحجبه عن ربه، فيضعف حب العبد لله ورسوله.

(٢ ـ ١٠) معرفة الله تعالى:

أصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى، فإذا حصلت المعرفة، تبعتها المحبة، ولها أصلان:

أحدهما: وهو الذي يقال له: المحبة العامة، لأجل إحسانه إلى عباده، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليهـا، والله سبحانه هو الذي حبا عباده بنعمه الظاهرة والباطنة، وإن جرت بواسطة، إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب.

الآخر: محبة الله لما هو له أهل، وهذا حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله.

وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله بها، مما دلت عليه أسماؤه الحسنى، وصفـاتـه العليا، إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه، حتى جميع مفعولاته، إذ كل نعمة منه فضل، وكل مصيبة منه عدل، ولهــذا استحق أن يكـون محمـوداً على كل حال في السـراء والضراء، وهذا أعلى وأكمل، وهو حب المخلصين.

وهؤلاء الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم، ويتلذذون بمناجاته، وهم المفرِّدون السابقون.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جُمدان[11]، فقال:

«سيروا، هذا جمدان، سبق المفرِّدون».

قالوا: يا رسول الله، ومن المُفرِّدون؟

---

(11) جُمـدان: جبـل بين ينبـع والعيص على ليلة من المـدينة، كما في «معجم البلدان» (1 / 161)، وقيل غير ذلك، والأول هو الصواب، انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (1 / 292).

قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[١٢].

ونكتة هذا الحديث أن من عرف ربه حق معرفته، أحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره بالضرورة، ومِن ذكر ما يتعلق به.

(٣ ـ ١٠) تِلاوَةُ القرآنِ وتَدَبُّرُه:

فمن أراد حلاوة المناجاة فليدمن قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

قال ﷺ:

«مَن سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف»[١٣].

ولله درُّ القائل:

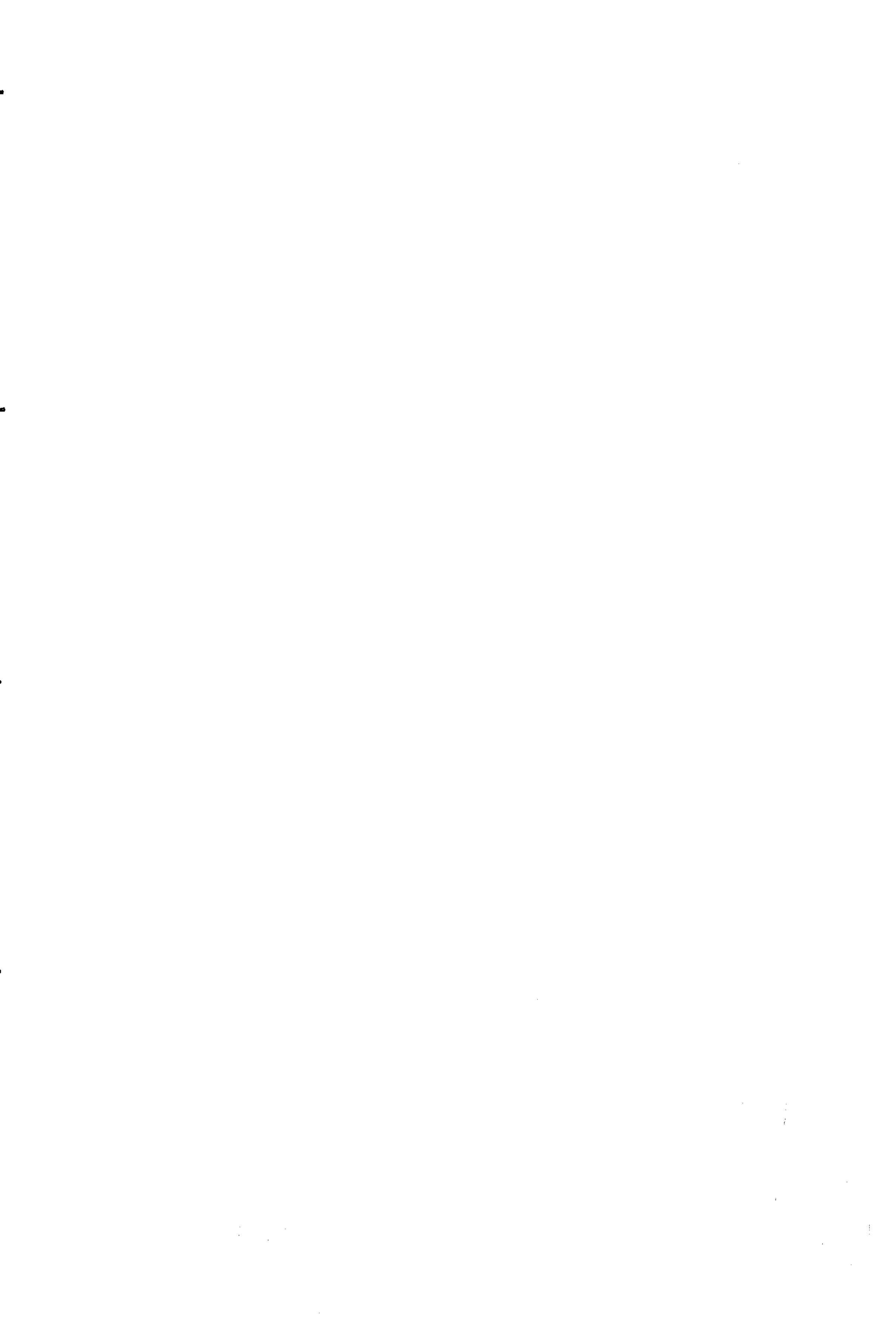
إنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمَ هَجَرْتَ كِتابِي
أَمَا تَدَبَّرْتَ مَا فِيهِ مِن لَطِيفِ عِتابِي

□□□

---

(١٢) أخرجه مسلم (١٧ / ٤ ـ نووي)، وغيره، وقد فصلت القول في طرقه ورواياته في «تخريج أحاديث الوصية الصغرى» (رقم ٢٤)، فليراجع.

(١٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧ / ٢٠٩)، وابن عدي في «الكامل» (٢ / ٨٥٥)، وغيرهما، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه.
قلت: وإسناده حسن.



الفصل الحادي عشر

عَلاماتُ حُبِّ الله ورَسُولِهِ

لكل شيء حقيقة يُستدَل بها عليه، ولحب الله ورسوله أمارات منها:

(١ - ١١) اتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ:

إن حب النبي ﷺ ليس بإلقاء القصائد العصماء في مدحه، وليس بتوزيع الحلوى وإقامة المهرجانات في يوم مولده.

إن حب النبي ﷺ باقتفاء أثره، واتِّباع سنته، ونصرة شريعته، وإقامة الدين الذي أرسله الله به، لينقذ الناس من الظلمات إلى النور.

قال تعالى:

﴿قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُم الله﴾ [آل عمران: ٣١].

إن رسول الله ﷺ يأمر بما يحب الله، وينهى عما يبغضه الله، ويفعل ما يحبه الله، ويجتنب ما يبغضه الله.

فمن كان محباً لله، لزم أن يتبع الرسول ﷺ، فيصدقه فيما أخبر،

ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله؛ فيحبه الله.

ولما كانت المحبة أصل للعبادات والطاعات، فيجب أن يكون تحريكها بما شرع الله، على طريق رسول الله ﷺ الثابتة بالنقل الصحيح.

(٢ ـ ١١) الرَّحمةُ على المؤمِنين:

إنها أمارة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين، فالمؤمن ذلول في يد المؤمنين كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد... غير عصي عليهم ولا صعب... هين لين... سمح ودود... هذه هي الذلة على المؤمنين.

وما في هذه الذلة من مذلة... إنما هي الأخوة... ترفع الحواجز، وتزيل التكلف، وتشيع في النفوس روح الألفة والرأفة، فيحبهم ويحبونه، ويشيع هذا الحب بينهم يتقاسمونه، فقد اجتمعوا في الله إخواناً، والتقوا على منهج الله أعواناً.

(٣ ـ ١١) الشِّدَّةُ على الكَافِرينَ:

إنها إشارة تدل على الإباء والاستعلاء... إنها ليست كبرياء الذات ولا استعلاء النفس... إنما هي عزة العقيدة، وعلو الراية التي ينضوون تحتها في مواجهة أعداء الله وعدوهم.

إنها الثقة بأنهم على الحق، يحملون الخير للناس كافة، ليطوِّعوهم للخير الذي معهم، لا أن يطوِّعوا الآخرين لأنفسهم، أو أن

يطوِّعوا أنفسهم للآخرين، وما في أيدي الآخرين.

إنها الثقة بغلبة دين الهدى في الأرض على دين الهوى، وبقوة الله على كل القوى، وحزب الله على أحزاب الجاهلية. . . فهم الأعلون في أثناء الطريق الطويل، حتى وهم يخسرون بعض الجولات.

(٤ ـ ١١) الجهادُ في سبيلِ الله:

حقيقة الجهاد بذل الوسع في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق، فالجهاد في سبيل الله لإقرار منهج الله في الأرض، ويكون الدين كله لله، لتحقيق الخير والصلاح والنماء. . . هي صفة الطائفة المؤمنة التي صنعها الله على عينه، واستعملها بطاعته.

إنهم يجاهدون في سبيل الله، لا في سبيل قومهم أو أنفسهم، ولا في سبيل وطنهم، ولا في سبيل جنسهم. . . في سبيل الله، لتحقيق منهج الله وتنفيذ شريعته. . . وليس لأنفسهم حظ، إنما هو لله وحده لا شريك له.

لذلك فهم لا يخافون لومة لائم، ولا شماتة شامت، وفيم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضمنوا حب رب الناس، وفيم الوقوف على مألوف الناس، وعرف البشر، وهم يتبعون السنة، ويبتغون العزة، ويَعْرِضون منهج الله للحياة.

إنما يخشى الناسَ ولومهم من يستمد مقاييسه وأحكامه وحركته من أهواء الناس، أما من يعود إلى موازين الله، ليجعلها المسيطرة

المحـركة الدافعة لأهواء البشر وشهواتهم وقيمهم، فما يبالي ما يقول النـاس ومـا يفعلون، كائناً هؤلاء الناس من كانوا، وكائناً واقع هؤلاء الناس ما كان.

ومن هنا تجاهد الطائفة المنصورة في سبيل الله، ولا تخاف لومة لائم.

هذه سمة المؤمنين المحبين... إنه الاطمئنان إلى الله، يملأ نفوسهم، يحدوهم إلى الجهاد في سبيل الله... وذلك كله من فضل الله القائل في كتابه المجيد:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُم عن دِينِه فسَوْف يأْتي الله بقَوْمٍ يُحِبُّهم ويُحِبُّونَه أَذِلَّةٍ على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافِرينَ يُجاهِدونَ في سَبيلِ الله ولا يَخافونَ لومَةَ لائِمٍ ذٰلك فضلُ الله يُؤْتيهِ مَن يَشاءُ والله واسِعٌ عليمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

□□□

الفصل الثاني عشر

الحبُّ في الله

قال ﷺ :

«مَن سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبَّ المرء لا يحبه إلا الله»[14].

ويحدد الإسلام للعبد المؤمن جهة الولاء الوحيد التي تتفق مع صفة الإيمان، وتنبثق عنه.

إن عبدَ الله حقاً من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما أسخط الله، ويكفيه ما أحبه الله، ويهجر ما أبغضه الله، فيوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله. هذا الذي كمل إيمانه فوجد حلاوته تشع في قلبه، وتملأ نفسه.

---

(14) أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٨)، والحاكم (١ / ٣ و ٤ / ١٦٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣ / ٥٢ ـ ٥٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧ / ٢٠٤)، وأبو داود الطيالسي (٢٤٩٧)، والبزار (٦٣ ـ كشف الأستار)، وغيرهم :
من طريق يحيى بن أبي سليم، عن عمرو بن ميمون، عن أبي هريرة، مرفوعاً.
قلت: إسناده حسن، لأن فيه يحيى بن أبي سليم، وهو أبو بَلْج الفزاري، وهو صدوق ربما أخطأ، وباقي رجاله ثقات.

فلا مجال للتمحل أو التأول، ولا فرصة لتمييع المنهج الإسلامي، لأن المسألة في صميمها هي العقيدة، ومحلها الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والالتقاء على منهج الله، والتفرُّق[15] عليه.

قال ﷺ:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، **ورجلان تحابًّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[16].

إن الالتزام دائماً بالمنهج الإسلامي... بما شرعه الله، وتجسَّم قدوة حسنة في حياة الرسول ﷺ وسيرته، هو المقياس، وليس الالتزام بالأشخاص أو الجماعات أو المذاهب أو الفرق أو الحكومات.

إن الخلل والعلل تتسلل إلى الحياة الإسلامية من العنود عن هذا المقياس، أو محاولة اختلاسه من يد المسلم... ومن ثَم تكون العصمة الكاذبة التي تُخْلَعُ على الأشخاص، والمسوغات المضحكة المبكية التي توضع لتصرفاتهم وأخطائهم التي تتناقض مع ما يحبه الله ويرضاه.

---

(١٥) لا يستوي التفرُّق والافتراق، فالأول بالأبدان، والآخر بالأهواء والعقائد، والأول سببه الموت أو السفر، والآخر سببه الجهل والبغي. فتدبر.

(١٦) أخرجه البخاري (٢ / ١٤٣ ـ الفتح)، واللفظ له، ومسلم (٧ / ١٢١ ـ ١٢٣)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

ومن هنا تبدأ مرحلة السقوط، حيث تبدأ عملية تخديم الأهداف الإسلامية والقيم الربانية لا خدمتها.

ولله در القائل:

إنِّــي سأُعَــمِّــمُ تَعــميمــاً الـحِــزْبُ يُحَــرِّمُ تَحْــريمــاً
يا وَيْحَ مَصَــائِــبُ أُمَّــتِــنــا إسـلامٌ يَخْــدِمُ تَنْـظِيمــاً

حينئـذ تبدأ الأحكام تفصَّل على الأشخاص، والحيل تؤصَّل، حتى تصبح لها مصنفات.

ولا ينبغي للعبد المحب لله، الذي يحب إخوانه في الله، أن يظن أن الـدعـوة إلى التـزام المنهـج، وعـدم التزام الأشخاص والشارات واليافطات، ارتداد إلى الفرقة، وبعثرة للجهود.

إن هذا الأصل الذي ترتبط به علاقات المسلمين بعضهم ببعض ليس من الأمور الاختيارية، إنما هو تصحيح لمسيرة المجتمع المسلم، وإلغـاء الإقـطاعـات البشرية في حياة الناس، والتزام بالإسلام الذي ارتضاه الله لنا ديناً، وبيَّنه رسول الله ﷺ أتم بيان.

ومن تأمـل هذا المقـام، وجده فريضة شرعية وضرورة بشرية، للوجوه الآتية:

(١ ـ ١٢) من تمـام حب العبـد لربه أن يحب ما أحب الله، فيحب المخلوق لله، لا لغـرض آخر، فمن أحب الأنبياء والصالحين لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر، فقد أحبهم لله لا لغيره.

وكثير من الناس لا يرضى بالله وحده ولياً وناصراً، بل يوالي من

دونه أولياء، ظناً منه أنهم يقربونه إلى الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك، فيحبهم كحب الله، وهذا عين الشرك.

بل التوحيد أن لا يتخذ من دونه أولياء، والقرآن والسنة مملوءان بوصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء.

وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فيه، فإن هذا من تمام الإيمان، ومن تمام موالاته، فموالاة أوليائه لون، واتخاذ الولي من دونه لون آخر، ومن لم يفهم الفرقان بينهما، فليطلب التوحيد من جديد، فإن هذا المقام جذر التوحيد.

(٢ ـ ١٢) أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ برحمته جمع قلوب المؤمنين على طاعته، وألف بينها على منهجه، فاستحق الشكر على هذه النعمة، بأن يكون الحبّ فيه، والاعتصام بحبله المتين.

قال تعالى:

﴿وإنْ يُريدُوا أن يَخْدَعوكَ فإنَّ حَسْبَكَ الله هُو الذي أيَّدَكَ بنَصْرِهِ وبالمُؤمنينَ وألَّفَ بينَ قُلوبِهِم لَو أنفَقْتَ ما في الأرضِ جَميعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلوبِهِم ولٰكِنَّ الله أَلَّفَ بينَ قُلوبِهِم إنَّهُ عَزيزٌ حكيمٌ . يا أيُّها النَّبيُّ حسبُكَ الله ومَنِ اتَّبَعَكَ مِن المُؤمِنينَ﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٤].

وقال تعالى:

﴿واعْتَصِموا بحَبْلِ الله جَميعاً ولا تَفرَّقوا واذْكُروا نِعْمَةَ الله عَليكُم إذْ كُنْتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلوبِكُم فأصْبَحْتُم بنِعْمَتِهِ إخْواناً . وكُنْتُم على شفا حُفْرَةٍ مِن النارِ فأنْقَذَكُم منها كذٰلكَ يُبيِّنُ الله لكُم آياتِهِ لعلَّكُم

تَهْتَدونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

(٣ ـ ١٢) أن دين الله هو الذي يستطيع وحده أن يثبت الأقدام، ويربط على القلوب، ويجمع الناس على كلمة التوحيد؛ لأنها سبيل توحيد الكلمة، وأما العوارض الفانية، والمطامع الشخصية، والمصالح الدنيوية، والقيم الأرضية، فإنها تمنع ولا تجمع، وتخالف ولا تآلف، وتفرق ولا توفق.

قال تعالى:

﴿وأنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقيماً فاتَّبعوهُ ولا تَتَّبعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُم عن سبيلِهِ ذٰلكُم وصَّاكُم بهِ لعَلَّكُم تَتَّقونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

ولقد أدغمت هذه الحروف علماً كثيراً، تناله بالتأمل والتفكر، ومن رام الزيادة فليقرأ رسالتي «الحبُّ والبُغْضُ في اللـه» ففيها المزيد لمن يريد.

□□□

الفصل الثالث عشر

كَراهيةُ الكُفْرِ

شبَّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكفر بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا عرق ثابت، ولا فرع عال، ولا ثمرة زاكية، فلا أصل، ولا جنى، ولا ساق قائم، ولا عرق في الأرض ثابت، فلا أسفلها مغدق، ولا أعلاها مونق، ولا حلاوة لها، ولا طلاوة عليها، ولا تعلو، بل تُعلى.

ولكنها قد تهيج وتتعالى، وتتشابك، ويخيل إلى بعض الناس أنها ضخمة باسقة، ولكنها تظل نافشة هشة، وما هي إلا فترة، ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار ولا بقاء.

﴿ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأرضِ ما لَها مِن قَرارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

ليس هذا مجرد مثل يضرب، بل هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان.

والخير الأصيل لا يموت مهما زحمه الشر، واضطره إلى أضيق الطريق، والشر كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير المتلبس

به، وعندما يستهلك ما يلابسه من الخير، فلا تبقى فيه منه بقية، فإنه يتهالك، ويتهشم، مهما تضخم واستطال.

قال تعالى:

﴿أَنْزَلَ مِن السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أودِيَةٌ بقَدَرِها فاحْتَمَل السَّيلُ زَبَداً رابياً ومِمَّا يوقِدونَ عليه في النَّارِ ابتِغاءَ حِلْيَةٍ أو مَتاعٍ زَبَدٌ مُثْلُهُ كَذٰلك يَضْرِبُ الله الحَقَّ والباطِلَ فأمَّا الزَّبَدُ فَيذْهَبُ جُفاءً وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيَمْكُثُ في الأرْضِ كَذٰلك يَضْرِبُ الله الأمثالَ﴾ [الرعد: ١٧].

لذلك فالعبد المحب الذي تفيأ ظلال الشجرة الطيبة الثابتة الأصل في الأرض، السامقة الفرع في السماء، يكره أن يعود إلى ظلال زائلة زائفة، اجتثت من فوق الأرض، ما لها من قرار... إنها سحابة صيف، فمن ذا الذي يستبدل الظل الدائم القاتم بسحابة صيف، سرعان ما تزول.

وكذلك العبد المحب، الذي ذاق جنى الشجرة الطيبة، ووجد حلاوتها، يكره أن يستبدل هذه الحلاوة، وذاك الطعم، بمرارة الشجرة الخبيثة.

وكذلك العبد المحب يكره الكفر؛ لأنه يعلم أن الكفر نار... فمن يحب أن يلقي نفسه في النار؟!

لذلك كله يكره العبد المحب لله ورسوله وللمؤمنين أن يعود إلى الكفر بعدما أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار.

ولذلك، فإن حب الشيء يستلزم بغض ضده وكراهيته، مع العلم

بالتضاد، فبضدها تتميز الأشياء، فمن آمن بالله عليه أن يكفر بما دونه، ومن اتَّبع السنة اجتنب البدعة، ومن وجد حلاوة الإيمان كره مرارة الكفر.

قال تعالى:

﴿واعْلَموا أنَّ فيكُم رَسولَ الله لَو يُطيعُكُم في كَثيرٍ مِن الأمْرِ لَعَنِتُّم ولٰكِنَّ الله حَبَّبَ إليكُم الإيمانَ وزَيَّنَه في قُلوبكُم وكَرَّهِ إليكُم الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ أُولٰئكَ هُم الرَّاشِدونَ . فَضْلاً مِن الله ونِعمةً والله عَليمٌ حَكيمٌ﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨].

□□□

الفصل الرابع عشر

نِعمة التَّثبيتِ

اللهم حبِّب إلينـا الإِيمان، وزيِّنه في قلوبنا، وثبِّتنا على سبيله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، وكرِّه إلينا الكفر وما يقرِّب إليه.

﴿يُثَبِّتُ الله الـذينَ آمَنـوا بالقَـوْلِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ ويُضِلُّ الله الظَّالِمينَ ويَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

واعلم أيها العبد المحب ـ ثبتك الله على سبيله ـ أن تحت هذه الآية كنز عظيم، من وُفِّق لمعرفته، وأحسن استخراجه واقتنائه، وأنفق منه، غنم، ومن حُرِمه، فقد حرم، ولن يحرمه إلا محروم مخذول.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين، فإن لم يثبته الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه من مكانهما.

ولله در القائل:

إذا لَمْ يَكُـنْ مِن الله عَوْنُ الـفَـتَـى
فأَوَّلُ مَا يَجْـنِـي عليهِ اجْـتِـهـادُهُ

ولقد امتنَّ الله الكريم على أكرم خلقه عليه؛ عبده ورسوله محمد ﷺ بنعمة التثبيت، فقال:

﴿ولَوْلا أنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شَيْئاً قَليلاً . إذاً لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَياةِ وضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لكَ علينا نَصِيراً﴾ [الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥].

وامتنَّ أيضاً على صفوة عباده بهذه النعمة، فقال:

﴿إذْ يُوحي رَبُّكَ إلى المَلائكَةِ أنِّي مَعَكُم فَثَبِّتوا الذينَ آمَنوا﴾ [الأنفال: ١٢].

واعلم أيها الأخ في اللـه أن مادة التثبيت وأصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أُمر به العبد، فبهما يثبِّت الله العبد، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن عملاً، كان أشد تثبيتاً.

قال تعالى:

﴿ولَوْ أنَّهُم فَعَلوا مَا يُوعَظونَ بهِ لَكانَ خَيْراً لهُم وأَشَدَّ تَثْبيتاً . وإذاً لآتَيْناهُم مِن لَدُنَّا أَجْراً عَظيماً . ولَهَدَيْناهُم صِراطاً مُسْتَقيماً . ومَن يُطِعِ الله والرَّسولَ فأولٰئكَ مَع الذينَ أَنْعَمَ الله عليهم مِن النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ وحَسُنَ أُولٰئكَ رَفيقاً . ذلك الفضلُ مِن الله وكَفى بالله عَليمـاً . يا أَيُّها الذينَ آمَنوا خُذوا حِذرَكُم فانْفِروا ثُباتٍ أو انْفِروا جَميعاً﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٧١].

اعلم أيها المؤمن ـ رحمك الله ـ أن العبد ما منح منحة أفضل من منحة القول الثابت، حيث يجد أهله ثمرته وهم أحوج ما يكونون إليه، في قبورهم، ويوم معادهم.

□□□

الفصل الخامس عشر

أحاديثُ لا تصحُّ في حلاوةِ الإيمانِ

(١ ـ ١٥) النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها خوفاً من الله، آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه.

أخرجه الحاكم (٤ / ٣١٣ ـ ٣١٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩٢).

من طريق إسحاق بن عبد الواحد القرشي: ثنا هشيم، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن محارب بن دثار، عن صلة بن زفر، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

وتعقبه الذهبي قائلاً: إسحاق واه، وعبدالرحمن هو الواسطي، ضعفوه.

قلت: هذا حديث ضعيف جداً، فيه ثلاث علل:

١ ـ إسحاق بن عبدالواحد ضعيف، كما قال الذهبي وغيره.

٢ ـ عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي متروك.

٣ ـ الاختلاف على عبدالرحمن هذا فيه، فرواه الطبراني في

«الكبير» (١٠٣٦٢)، من طريقه عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود.

ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩٣)، من طريقه عن محارب بن دثار، عن ابن عمر.

والحديث ضعفه المنذري والهيثمي وغيرهما.

وله شاهد لا يفرح به بلفظ:

(٢ ـ ١٥) ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة، ثم يغض بصره، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها.

أخرجه أحمد (٢ / ٢٦٤)، والروياني في «مسنده» (٣ / ٢١٨ / ٢)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٩٢ / ٢)، وغيرهم.

من طريق عبيدالله بن زحر، عن علي بن زيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: . . . فذكره.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً، لا يفرح به، ولا كرامة.

قال ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٦٣):

«إذا اجتمع في إسناد خبر عبيدالله بن زَحْر، وعلي بن زيد، والقاسم أبو عبدالرحمن، لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم».

وقد بسطت القول على هذا الإسناد في رسالتي «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب» (ص ١٠ ـ ١٢)، فليراجع.

الخاتمة

رزقنا الله الحسنى وزيادة

أيها الأخ في الله ـ أيدك الله بروح من لدنه ـ لقد بيّن رسول الله ﷺ أن ذوق طعم الإيمان لمن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأن وَجْد حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبه لله ورسوله أشد من حبه لغيرهما، ومن كان يحب شخصاً لله لا لغيره، ومن كان يكره ضد الإيمان كما يكره أن يلقى في النار، فهذا الحب للإيمان، والكراهية للكفر، استلزم حلاوة الإيمان، كما استلزم الرضى المتقدم ذوق طعم الإيمان.

ولما كان بهذا البيان الحب التام والإخلاص ـ الذي هو ثمرته ـ أعلى من مجرد الرضى بربوبيته سبحانه، كانت ثمرته أعلى، وهي وجد حلاوة الإيمان، وثمرة الرضى ذوق طعم الإيمان، فهذا وَجْد حلاوة، وذلك ذوق طعم.

ومن أراد أن يجد هذه الحلاوة كما ينبغي، فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ، يجدها هي بعينها، فإن كمال هذه الدرجة لم يكن كما كان لرسول الله ﷺ، ثم للورثة منها بحسب سهامهم في التركة.

فمن أراد أن يضرب بحظ وافر في هذه التركة، فليتسنم غارب

الإخلاص، ويمتشق حسام العلم، ليرقى بنفسه في مقامات الصديقين الذين خلت قلوبهم من الخلق، وشغلت بالخالق، وتزكت نفوسهم من حب نفوسهم، فلم يروا سعادتهم إلا في عبادة ربهم، والتقرب إليه بالنوافل، حتى أحبهم، فرضي عنهم، ورضوا عنه.

فاللهم احشرنا في زمرتهم، واجعلنا ممن يستبدل الحلاوة المنقطعة الزائلة بالحلاوة الدائمة، حتى نلقى الأحبة محمداً ﷺ وصحبه.

والله من وراء القصد.



□□□

فهرس الكتاب

٥ المقدمة .

٧ * **الفصل الأول**: حلاوة الإيمان .

٨ لا بد للشجرة من عروق وساق وفروع . . .

٩ لا تبقى الشجرة حية إلا بمادة تسقيها وتنميها .

١٠ الشجرة الطيبة لا بد أن يخالطها نبت غريب .

١٣ * **الفصل الثاني**: الرضى بالله ربًّا .

١٧ * **الفصل الثالث**: أمور تعين على الرضى بالله ربًّا .

١٧ التوكل على الله .

١٧ التزام ما جعل الله رضاه فيه .

١٧ معرفة العبد بضعفه وعجزه .

١٨ علم العبد برحمة الله وشفقته عليه .

١٩ * **الفصل الرابع**: الرضى عن الله .

٢٠ الرضى بالله خاص، والرضى عن الله عام .

٢٠ الرضى بالله فرض من آكد الفروض .

٢٠ الرضى بالله ربًّا يتضمن الرضى عنه، ويستلزمه .

٢١ * **الفصل الخامس**: أمور تعين على الرضى عن الله .

٢١ المسلم مفوض أمره لله .
٢١ المسلم جازم أن لا تبديل لكلمات الله .
٢١ المسلم عبد محض .
٢١ المسلم محب لله .
٢٢ المسلم جاهل بعواقب الأمور، ومولاه الحق أعلم بمصلحته ونفعه .
٢٢ المسلم حسن الظن بالله .
٢٢ المسلم يعلم أن ليس له من المقدور إلا ما يتلقاه به .
٢٢ المسلم يعلم أن أعظم راحته وسروره في الرضى عن ربه .
٢٢ المسلم يعلم أن السخط يورث الهم والحزن . . .
٢٢ المسلم يذوق بالرضى طعم السكينة .
٢٣ المسلم يفتح بالرضى باب السلامة .
٢٣ المسلم يرى أن السخط يوجب تلون العبد وعدم ثباته مع الله .
٢٣ المسلم يعلم أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله .
٢٣ المسلم الذي يسلك سبيل الرضى يملأ الله صدره غنى وأمناً وقناعة .
٢٤ المسلم الذي يسلك سبيل الرضى مبرأ من آفات الحرص على الدنيا .
٢٤ المسلم الذي يسلك سبيل الرضى يخرج الهوى من قلبه .
٢٥ * الفصل السادس : الرضى بمحمد ﷺ رسولاً .
٢٧ * الفصل السابع : الرضى بالإسلام ديناً .
٣٠ أوقات يردد العبد فيها : «رضيت بالله رباً . . .» .
٣٣ * الفصل الثامن : حب الله ورسوله ﷺ .
٣٤ ما يجده المؤمن من حلاوة الإيمان يتبع كمال محبة العبد لله ورسوله .

٣٥ *** الفصل التاسع**: أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما.

٣٥ أمور تعين على بلوغ العبد هذا المقام.

٣٥ أن يكون الله ورسوله أحب الأشياء إلى العبد.

٤٠ أن يكون الله ورسوله أولى الأشياء بالتعظيم.

٤١ أن يكون الله ورسوله أولى الأشياء بالطاعة

٤٣ * الفصل العاشر: الأسباب الشرعية المقوية لحب الله ورسوله.

٤٣ الزهد في الدنيا والتقلل منها.

٤٣ معرفة الله تعالى.

٤٥ تلاوة القرآن وتدبره.

٤٧ *** الفصل الحادي عشر**: علامات حب الله ورسوله.

٤٧ اتباع النبي ﷺ.

٤٨ الرحمة على المؤمنين.

٤٨ الشدة على الكافرين.

٤٩ الجهاد في سبيل الله.

٥١ *** الفصل الثاني عشر**: الحب في الله.

٥٣ من تمام حب العبد لربه أن يحب العبد ما أحب الله.

٥٤ الحب في الله هو شكر لله على نعمة التأليف بين قلوب المؤمنين.

٥٥ إن دين الله هو الذي يجمع الناس ويربط القلوب، وليس العوارض والمصالح والمطامع والقيم الأرضية.

٥٧ *** الفصل الثالث عشر**: كراهية الكفر.

٦١ *** الفصل الرابع عشر**: نعمة التثبيت.

٦٣ * **الفصل الخامس عشر: حديثان لا يصحان في حلاوة الإيمان.**

٦٣ النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه. ضعيف جداً.

٦٤ ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة، ثم يغض بصره، إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها. ضعيف جداً.

٦٥ الخاتمة.

٦٧ فهرس الموضوعات.

□□□

طبع بإشراف
دار الصحابة
للطباعة والنشر
ص.ب ٥٠٠٦ / ١٣ شوران
بيروت - لبنان